ملخص الرسالة

إن الرسالة الموسومة (دور التيار الصدري في العملية السياسية العراقية ٢٠٠٣ - ٢٠١١) هي رسالة متخصصة في الحركة الجماهيرية الإسلامية المعاصرة الواسعة المتمثلة بالتيار الصدري ودوره في العملية السياسية في العراق، وعليه فهي تنطوي على معلومات في ميدان فكر الحراك السياسي للتيار الصدري الذي تمتد جذوره التنظيمية والفكرية إلى الشهيدين الصدرين(قدس الله سرهما) السيد محمد باقر الصدر(قدس) والسيد محمد الصدر(قدس)، وقد حافظ على نقائها الفكري وبقائها العملي السيد مقتدى الصدر(دام عزه).

الدراسة عن دور التيار الصدري وتأثيره على العملية السياسية. التيار كحركة جماهيرية واسعة يتطلب منا معرفة طبيعة هذه الحركة؟، ومحور حركتها وسر قوتها وديمومتها؟، ودَور قياداتها ومدى تأثرهم بما يدور حَولهم، ومدى قدرتهم في التأثير على المجتمع والتغيير؟، وإمكانياتهم العلمية وطاقاتهم، وهل التيار الصدري حركة كونتها ظروف مرحلة معينة يمكن أن تزول وتتراجع وتضمر بزوال الظروف؟. أم هي حركة لديها أيديولوجية وإستراتيجية معينة تمكنها من البقاء والاستمرار بقوة وعنفوان، كل هذه التساؤلات دفعتنا إلى التركيز على الشخصيات القيادية الثلاث للتيار الصدري ومدى وعي أتباعهم وقناعاتهم واستعدادهم للتضحية في سبيل قضيتهم والتي هي ربما قضية البشرية جمعاء.

قد يكون شرطاً من شروط بقاء التيار الصدري أن يؤدي هذه الأدوار القيادية المختلفة للتيار شخصيات مختلفة من نفس أسرة آل الصدر يأتي الواحد منهم بعد الآخر، مع فواصل زمنية بينهما، وربما حسب متطلبات التخطيط الإلهي، لأنهم جعلوا هدفهم الله، وربما لو تمت القيادة من شخص واحد أو أشخاص بطبيعة واحدة، من بدايتها إلى نهايتها فإن هذه الحركة قد تنتهي بكارثة ويُكشف مخططها وإستراتيجيتها، ولا تكون لها الاستمرارية والديمومة مقابل تحديات الاستعمار الفكري أو الفعلي.

إن السيد محمد باقر الصدر(قدس) كان سبّاقاً لمواجهة التحدي الفكري للشيوعية الذي مثل الإلحاد في عصره، فلم يكن الدليل العلمي أو الحجة الدامغة هي الميزة لمؤلفاته فحسب، وإنما التمكن من مصطلحات العصر ولغته، بحيث كان هناك مائزاً واضحاً بين مؤلفاته وبَين مُؤلفات غيره، واعتبرها البعض حتى الساعة لغة "مقدسة". وقد نالت مؤلفاته من الشهرة ما لم تنله أي مؤلفات أخرى، وكان لها أثراً واضحاً في بث روح الثقة عند القواعد الشعبية، فضلاً عن ذلك كله تواصله على المستوى الحركي مع المجتمع العراقي من خلال إيصال صوت مرجعيته إلى أقصى نقطة في العراق، وهو المنهج الذي سار وأكد عليه أئمة أهل البيت(ع) وكل الأنبياء والرسل، وكان هدفه (قدس) من العلم التسلح به لأجل النزول به إلى ميدان الصراع والعراك مع أعداء الإسلام أعداء الدين الذين يخططون للنيل من الإسلام، والأمة غافلة، وقد وضع (قدس) مشروع وخارطة طريق لإنقاذ الأمة الإسلامية لمن بعده بعد أن تقطعت به السبل من تحقيقه بنفسه.

أما السيد محمد الصدر(قدس) فمن حيث المستوى الفكري لقد مثلت مؤلفاته التكامل الفكري لمؤلفات السيد محمد باقر الصدر(قدس) لتحقق معاً أول أهداف المرجعية الصالحة التي حددها السيد محمد باقر الصدر في مشروعه، وهو إشباع الحاجات الفكرية الإسلامية للعمل الإسلامي، وأما على المستوى الحركي فكان له أثراً واضحاً في تطبيق خارطة الطريق، والعمل على تحقيق اكبر خطوة عملية وهي تأسيس القاعدة الشعبية الواعية وفي أحلك الظروف، وهذا ما أفرزته الحركة الصدرية بعد أن فارق الحياة.

ظهر السيد مقتدى الصدر بعد استشهاد والده السيد محمد الصدر(قدس) ليتولى مسؤولية تكامل التطبيق ولاسيما بعد التكامل الفكري وبناء القاعدة الشعبية ووجود خارطة طريق لتحقيق الأهداف المرسومة، والسير على منهج الشهيدين الصدرين، ولكن وفق برنامجه الخاص به والظروف

الموضوعية لمرحلته من أجل المحافظة على النقاء الفكري والرسالي لهدف التيار الواقعي في الدفاع عن الإسلام والسلام والوطن.

إن الحركة الجماهيرية للتيار الصدري حيويتها من نزعة أتباعها إلى العمل الجماعي والتضحية بالنفس. وعندما نعزو نجاحها إلى عقيدتها ومذهبها ودعايتها وقيادتها وشجاعتها، وما إلى ذلك، فنحن في حقيقة الأمر، نشير إلى أدوات وآليات تقود إلى العمل الجماعي والتضحية بالنفس. وَلعَلَ من المستحيل أن نتفهم طبيعة الحركة الصدرية ما لم ندرك أن الذي غرس روح التضحية فيها أمران هما:

أولاً: لإيمانها بالاستعداد والتضحية لنصر الإمام المهدي(عج).

وثانياً: لاستمرار التهديد لبقائها الذي خلق قنوات للعمل الجماعي وللتضحية بالنفس، وتطوير هذه القنوات وتحسينها وإبقائها يتوقف على الظروف التي أخذت بالتصاعد. فما يذهب زمان إلا والذي بعده أشر منه.

إن التعرف على هذه القنوات يقودنا إلى المنطق الداخلي للحركة الصدرية والأفكار التي تسودها والممارسات التي تقوم بها. وأي جماعة منظمة تحاول، لسبب أو لآخر أن تخلق وحدة مترابطة واستعداد دائم للتضحية بالنفس والتي أصبحت ربما من سمات الحركة الصدرية التي تميزها عن بقية التنظيمات الأخرى، التنظيمات التي تعترف بالمصلحة الذاتية أساساً مشروعاً لنشاطها، لذا نراها أخذت تتراخى وحدتها الجماعية وتفقد الكثير من خصائصها إذا ما قورنت بالتيار الصدري وصعوده.